موقف ابن عاشور من المذاهب الاعتقادية من خلال تفسيره التحرير والتنوير

The Ibn Ashour of the belief doctrines through the interpretation .of the liberation and enlightenment

د. منذر مازن عودة المسيعدين*
جامعة الملك فيصل، كلية التربية، الأحساء- الهفوف، المملكة العربية السعودية،
monther7865@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2018/09/17 **تاريخ القبول:** 2020/03/19

ملخص:

تناولت هذه الدراسة موقف ابن عاشور من المذاهب الاعتقادية من خلال تفسيره التحرير والتنوير، إذ تكمن مشكلة الدراسة في الحاجة إلى التعرف على هذه المذاهب، وتوضيح موقف الطاهر بن عاشور منها، وتهدف الدراسة إلى بيان موقفه حيال هذه المذاهب الاعتقادية وأصحابها، وذلك فيما يتعلق بموافقته، ومعارضته لها، وردوده عليها، وتكفيره لبعضها، -في العديد من المسائل التي تعرض لها- وقد قامت الدراسة على المنهج الاستقرائي، والوصفي، والتحليلي، والمقارن، وكان من أبرز نتائجها: أن الطاهر بن عاشور يعد عالماً بارعاً في شتى أنواع العلوم والمعارف، وأن تفسيره موسوعة علمية كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها، وأن المذاهب الاعتقادية التي ذكرها في تفسيره، هي: المعتزلة، والجبرية، والشيعة، والخوارج، والبهائية، وقد كان الطاهر بن عاشور ينقل عن بعض هذه المذاهب كالمعتزلة، وذلك في مواطن الاتفاق، وينكر على بعضها، ويرد علية كالمعتزلة، والشيعة، وذلك في مواطن الاختلاف، ويكفر بعضاً منها كالبهائية.

الكلمات المفتاحية: المذاهب؛ ابن عاشور؛ التحرير والتنوير.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This study deals with the position of Ibn Ashour of the belief doctrines through the interpretation of the liberation and enlightenment. The problem of the study lies in the need to identify these doctrines, and clarify the position of Tahir Ben Ashour, and aims to study the position on these doctrines of belief and their owners, The study was based on the inductive, descriptive, analytical and comparative method. The most prominent results were that Al-Taher ibn Ashour is a brilliant scholar in all kinds of sciences and knowledge, and that Explained a great scientific encyclopedia It is indispensable that the doctrinal doctrines that he mentioned in his interpretation are: Sufism, al-Muhtazidah, al-Jabriya, Shi'a, Khwarij and Baha'i. Tahir ibn Ashour used to convey from some of these doctrines such as Sufism and Mu'tazilah in the areas of agreement, and deny them in the area of differences, and describes some of them as disbelievers such as Baha'i.

Keywords: Schools of Thought; Ibn Ashour; Liberation and Enlighten.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن أفضل ما يشتغل به العبد في دنياه هو تلاوة كتاب الله تعالى، وتدبره، وتفسيره، والعمل به، وتعليمه، والذب عنه، ولقد انبرى علماء الإسلام في شتى أقطار المعمورة لخدمة كتاب الله-عز وجل-، والدفاع عنه، ومن بين هؤلاء العلماء الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ) صاحب التفسير المشهور بـ "تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد"، والمعروف باسم التحرير والتنوير من التفسير.

وقد أودع الطاهر بن عاشور في تفسيره المباحث المفيدة، والأقوال المحررة، حتى صار مرجعاً للعلماء وطلبة العلم، ومن ضمن ما أودع فيه مؤلفه: أقوال المذاهب الاعتقادية كالمعتزلة، والخوارج، والشيعة، والجبرية، والبهائية، إذ نقل عن بعض هذه المذاهب، وعارض البعض منها ورد عليه، وكفر البعض الآخر، ونظراً لما لهذه المواقف -من قبل الطاهر بن عاشور تجاه هذه المذاهب وأصحابها-من قيمة علمية، أحببت أن يكون هذا موضوع دراستي والموسومة بـ "موقف ابن عاشور من المذاهب الاعتقادية من خلال تفسيره.

مشكلة الدراسة:

يمكن تحديد مشكلة الدراسة من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1-ما المذاهب الاعتقادية التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره؟

2-هل وافق الطاهر بن عاشور هذه المذاهب الاعتقادية، ونقل عن أصحابها؟

3-هل عارض الطاهر بن عاشور هذه المذاهب الاعتقادية، ورد على أصحابها؟

4-ما المسائل التي وافق وخالف فيها الطاهر بن عاشور هذه المذاهب الاعتقادية؟

5-هل كفر الطاهر بن عاشور بعضاً من هذه المذاهب الاعتقادية، وأخرج أصحابها من دائرة الإسلام؟

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة في أنها تذكر المذاهب الاعتقادية التي ذكرها الطاهر بن عاشور في تفسيره، بحيث توضح موقفه تجاهها، سواءً في موافقته لها، أو معارضته للبعض منها، وردوده عليها، أو تكفيره للبعض الآخر، وذلك فيما يتعلق بقضايا تفسير القرآن الكريم وعلومه.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

1-بيان المذاهب الاعتقادية التي ذكرها الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير.

2-بيان موقف الطاهر بن عاشور حيال هذه المذاهب الاعتقادية وأصحابها، وذلك فيما يتعلق بموافقته ومعارضته لها، وردوده عليها، وتكفيره لبعضها.

3-ذكر المسائل التي تتعلق بتفسير القرآن الكريم وعلومه، والتي من خلالها وافق وخالف فيها ابن عاشور هذه المذاهب الاعتقادية وأصحابها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري للعديد من المكتبات العربية والإسلامية والشبكة العنكبوتية، لم أجد-على حد اطلاعي-دراسة مستقلة تتحدث عن هذا الموضوع، ولكن هناك دراسة أشارت إلى بعض مفردات هذا الموضوع، وقد كانت "بعنوان منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير"، لنبيل أحمد صقر، الدار المصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م.

وهذه الدراسة تلتقي مع دراستي من خلال حديثها عن موقف الطاهر بن عاشور من المذاهب الاعتقادية، ولكن يؤخذ على هذه الدراسة أن الباحث فيها قد بدأ حديثه عن كل مذهب من هذه المذاهب، بذكر الأسس التي يقوم عليها كل مذهب منها، وأسهب في ذلك، وكان ذلك كله على حساب جزئيات الدراسة الأخرى، ثم أن الباحث في هذه الدراسة لم يقم باستقراء كافة المواضيع التي تبين موقف الطاهر ابن عاشور إزاء كل مذهب من هذه المذاهب، بل اكتفى بذكر البعض منها، إذ إنه- الباحث- كان يبدأ كل مسألة من هذه المسائل بذكر قول الطاهر بن عاشور الذي يبين موقفه تجاه كل مذهب من هذه المذاهب الاعتقادية، وذلك من دون مناقشة لهذه المسائل التي تعرض لها في هذه الدراسة، ومن دون ذكر لأقوال العلماء فيها، وبيان رأي اهل السنة والجماعة في كل واحدة منها.

أما دراستي فقد جاءت ذاكرة للمذاهب الاعتقادية التي أوردها الطاهر بن عاشور في تفسيره، ومقسمة المسائل التي تبين موقفه تجاه كل مذهب من هذه المذاهب، إلى قسمين: قسم خاص بالمسائل التي تتعلق بعلوم القرآن الكريم، وقسم خاص بالمسائل التي تتعلق بتفسير القرآن الكريم، وفي كل قسم من هذين القسمين، ذكرت المسائل التي وافق فيها ابن عاشور، وخالف كل مذهب من هذه المذاهب، إذ إنني في كل مسألة من هذه المسائل ذكرت قول الطاهر بن عاشور، وقول كل صاحب مذهب من هذه المذاهب مع نسبته إليه، مع بيان رأي العلماء المعتبرين، ورأي أهل السنة والجماعة في كل مسألة من هذه المسائل.

منهجية الدراسة: قامت هذه الدراسة على عدد من المناهج، وهي:

1- المنهج الاستقرائي: والذي يقوم على استقراء كافة المسائل التي تبين موقف الطاهر بن عاشور تجاه كل مذهب من هذه المذاهب.

2- المنهج الوصفي: ويقوم على بيان موقف الطاهر بن عاشور إزاء كل مذهب من هذه المذاهب وأصحابها، سواءً في موافقته أو مخالفته لها.

3- المنهج التحليلي: ويقوم على تحليل بعض الآيات القرآنية الكريمة، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، وبعض المفردات، التي تحتاج إلى بيان وتوضيح؛ وذلك للكشف عن الفوائد التي تتعلق بالموضوع.

4- المنهج المقارن: والذي يقوم على ذكر قول المذهب الاعتقادي أو قول صاحبه، وذكر قول ابن عاشور، وأقوال العلماء، وبيان الراجح منها، وفقاً للأدلة المعتبرة عن العلماء.

خطة البحث:

لقد جاءت هذه الدراسة في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، ومبحثينِ، وخاتمةٍ، وقائمةٍ بالمصادرِ والمراجع.

المقدمة وفيها مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة، وخطة البحث:

التمهيد، وفيه مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالطاهر بن عاشور.

المطلب الثاني: التعريف بتفسيره التحرير والتنوير.

المبحث الأول: موقف ابن عاشور من المعتزلة والجبرية من خلال تفسيره التحرير والتنوير، وفيه مطلبين.

المطلب الأول: موقف ابن عاشور من المعتزلة.

المطلب الثاني: موقف ابن عاشور من الجبرية.

المبحث الثاني: موقف ابن عاشور من الشيعة والخوارج والبهائية من خلال تفسيره التحرير والتنوير، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: موقف ابن عاشور من الشيعة.

المطلب الثاني: موقف ابن عاشور من الخوارج.

المطلب الثالث: موقف ابن عاشور من البهائية.

الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

وفي الختام أسأل الله-عز وجل-التوفيق والسداد، وأن يكون هذا العمل خالصا لوجه تعالى.

التمهيد:

المطلب الأول: التعريف بالطاهر بن عاشور:

أولاً: اسمه، ونسبه، ومولده:

هو محمد الطاهر الثاني ابن محمد بن محمد الطاهر الأول ابن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد ابن عاشور الأندلسي التونسي[1]، ولد في تونس سنة (1296هـ -1879م)[2].

ثانياً: نشأته العلمية:

نشأ الطاهر بن عاشور في جو علمي، إذ بدأ بتعلم القرآن الكريم مبكراً، وحفظ المتون في اللغة كالأجرومية وغيرها التي هيأته إلى التعلم بجامع الزيتونة، الذي درس فيه النحو، والبلاغة، واللغة، والمنطق، وعلم الكلام، والفقه، والفرائض، وأصول الفقه، والحديث، والسيرة، والتاريخ، والتفسير، إذ كثر شيوخه، وتعددت علومه[3]، وكان لجده-من جهة أمه-الشيخ محمد العزيز بوعتور، أثرٌ بالغٌ في نشأته العلمية عندما لاحظ عليه الجد والاجتهاد في طلب العلم، وهبه مكتبته الكبيرة؛ فعكف الشيخ على قراءتها والبحث في مكنوناتها[4].

وقد عُينَ الطاهر بن عاشور مدرساً بالمدرسة الصادقية، ثم عضواً في لجنة إصلاح جامع الزيتونة، ثم مديراً لجامع الزيتونة، ورئيساً له، وتولى القضاء والإفتاء في المجلس الأعلى للأوقاف، وأصبح من كبار علماء المذهب المالكي في جامع الزيتونة[5].

ثالثاً: شيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته:

كان لفضيلة الطاهر ابن عاشور شيوخ كثيرون، أحذ عنهم العلم وأجازوه، ومنهم جده-لأمه-الشيخ محمد العزيز بوعتور، والشيخ أحمد الكافي، والشيخ عمر ابن الشيخ، وغيرهم كثيرون[6].

---

(1) ينظر: منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل أحمد صقر، ط.2001،1م، القاهرة- الدار المصرية للنشر والتوزيع، ص. 9.

(2) ينظر: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير، هيا ثامر مفتاح العلي، ط.1، 1994م، الدوحة، دار الثقافة، ص.25.

(3) ينظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم الغالي، ط.1، 1996م، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ص. 35.

(4) ينظر: منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل أحمد صقر، ص. 10-11.

(5) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إياد خالد الطباع، ط.1، 2005م، دمشق، دار القلم، ص. 29.

(6) ينظر: منهج الإمام ابن عاشور في القراءات في تفسيره التحرير والتنوير، بسام رضوان شحادة عليان، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، فلسطين، العدد 2، المجلد 19، 2011م، ص. 545- 573

وأما تلاميذه، فمنهم ابناه محمد الفاضل ابن عاشور، وعبد الملك بن عاشور، ومحمد الصادق، وغيرهم كثير[1]، وللشيخ ابن عاشور مؤلفات كثيرة منها: تفسير التحرر والتنوير، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وكتاب: أليس الصبح بقريب، وغيرها.

رابعاً: مذهبه الفقهي والعقدي:

أما مذهب الشيخ الفقهي فهو مذهب الإمام مالك بن أنس[2]، والشيخ في الأصول الاعتقادية على طريقة الإمام أبي حسن الأشعري[3]، وهو مذهب الغالبية من التونسين، وقد صرح الشيخ بذلك، إذ يقول: "اتبع مذهب مالك، واتبع عقيدة الأشعري"[4].

خامساً: وفاته:

توفي الشيخ ابن عاشور يوم الأحد 13 رجب 1393هـ، الموافق 12أغسطس عام 1973م، عن أربعٍ وتسعينَ سنة في تونس، ودفن بمقبرة الزلاج من مدينة تونس[5].

المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير:

أولاً: اسم التفسير:

لقد صرح الطاهر بن عاشور باسم كتابه (التفسير) في مقدمة تفسيره التحرير والتنوير، إذ يقول: "وسميته تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد"، واختصرت هذا الاسم باسم التحرير والتنوير من التفسير"[6]. ففي قوله- رحمه الله تعالى-: "تحرير المعنى السديد"، إشارة إلى أنه سيسلك مسلك التحقيق والتدقيق، لا مجرد النقل والترديد عمن سبقه من العلماء، وقوله: "تنوير العقل الجديد"، إشارة إلى أن

---

(1) ينظر: منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل أحمد صقر، ص. 10-11.

(2) وهذا واضح من خلال ترجيحه لكثير مما ذهب إليه الإمام مالك، وأتباعه في كثير من المسائل، ومنها ترجيح رأي المالكية، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 227).

ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (ت.1393هـ)، ط.1، 1973م، تونس، الدار التونسية، 386/3.

(3) يظهر ذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة، 7). ينظر: المصدر السابق، 197/1.

(4) المصدر السابق، 280/1.

(5) دراسة الأحاديث المرفوعة في تفسير التحرير والتنوير، براهمي عباس، مجلة الحديث- معهد دراسات الحديث النبوي-، ماليزيا، العدد7، المجلد1، 2014م، ص.173-192.

(6) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 7/1.

الكتاب يتوافق مع ما يقتضيه العصر الحديث، أما قوله: "من تفسير الكتاب المجيد"، يشير إلى أنه سيعمد إلى تفسير القرآن الكريم من أوله إلى آخره[1].

ثانياً: منهج الطاهر بن عاشور في تفسيره:

يعتبر تفسير التحرير والتنوير تفسيراً بلاغياً لغوياً عقلانياً، اعتمد فيه مؤلفه على تحليله العقلي، فهو لا يغفل التفسير المأثور بل يهتم به، فقد كان الطاهر بن عاشور يعمد إلى استقراء جميع جزئيات الموضوع الذي يناقشه سواءً أكانت لغوية، أو بلاغية، أو عقدية، أو فقهية، أو اجتماعية وغيرها، مخضعاً ذلك للشرح والتحليل، مستنبطاً بعدها النتيجة. وطريقة مؤلفه فيه (منهجه في التفسير) أن يذكر مقطعاً من السورة، ثم يشرع في تفسيره مبتدئاً بذكر المناسبة، ثم اللغويات، ثم التفسير الإجمالي، مضمناً إياه اللطائف البيانية، ذاكراً لآراء العلماء، مناقشاً لها، منفرداً برأيه، ومعتداً به، ويتعرض للفقهيات، ويهتم بالأخبار التاريخية، خاتماً المقطع بذكر القراءات القرآنية في الغالب، إذ يقدم عرضاً تفصيلياً لما في السورة القرآنية، متحدثاً عن الارتباط بين آياتها، مقارنا بين مواطن الآيات وخاصة في المواطن البلاغية.

وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى منهجه في التفسير، في مقدمة تفسيره، إذ يقول: "وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض... واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبطٍ وتحقيقٍ، وبذلت الجهد في الكشف عن نكت معاني القرآن وإعجازه... أما البحث عن تناسب السور بعضها إثر بعض، ... فلم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها"[2].

وتجدر الإشارة إلى أن الطاهر بن عاشور قد تميز بالأمانة العلمية، وذلك بإسناد الرأي لصاحبه بالمعنى وبالنص، إضافة إلى تحريه صدق المعلومة، إذ كان-رحمه الله تعالى- شديدَ النقد، قاسياً في الرد، وخاصة مع الزمخشري (ت.538هـ)، رغم إعجابه الشديد به، والثناء عليه.

---

[1] الاستنباطات عند العلامة محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير جمعا ودراسة، أيمن غازي صابر، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى،2011م،- رسالة ماجستير- إشراف: طه عابدين طه حمد، ص.67.

[2] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، المقدمة، 1/5- 18، بتصرف في النص.

المبحث الأول: موقف ابن عاشور من المعتزلة والجبرية في تفسير القرآن الكريم وعلومه:

المطلب الأول: موقف ابن عاشور من المعتزلة في تفسير القرآن الكريم وعلومه:

يتمثل موقف الطاهر بن عاشور من المعتزلة، بأنه كان موافقا لهم في بعض الأمور، ومخالفا لهم في أمور أخرى، أما موافقته لهم فتكون بكثرة نقوله من تفسير الزمخشري (ت.538هـ)، وخاصة فيما يتصل بتفسير القرآن الكريم وعلومه والبلاغة والنحو ومسائله واللغة... ، وهذا مما برع فيه الزمخشري، إذ إن هذه النقول هي نقاط اتفاق وتطابق في الآراء بين المفَسِرَينِ- الزمخشري وابن عاشور-، أما معارضته لهم وبخاصة الزمخشري فتبرز إذا لم يكن هناك تطابق في الآراء وتقارب في وجهات النظر، وفيما يلي مواضعٌ وافق فيها ابن عاشور المعتزلة- وخاصة الزمخشري-، وخالفهم فيها.

أولاً: موقف ابن عاشور من المعتزلة فيما يتعلق بعلوم القرآن الكريم:

نقل الطاهر بن عاشور عن الزمخشري في المقدمة الثانية من تفسيره "التحرير والتنوير"، فيما يتعلق بشروط المتصدي لتفسير القرآن الكريم، ودور علم المعاني وعلم البيان في هذا الجانب، فضلا عن العلوم الأخرى، إذ يقول: "قال في الكشاف: علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوي والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان من سيبويه أنحى، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علما البيان والمعاني[1]"[2].

مما سبق يتبن أن الطاهر بن عاشور قد وافق الزمخشري فيما ذكره من شروط المتصدي لتفسير القرآن الكريم، ودور علم المعاني وعلم البيان والعلوم الأخرى في هذا الجانب.

---

[1] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت.538هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيما، ط.3، 1407هـ، بيروت، دار الكتاب العربي، 3/1.

[2] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 19/1.

ثانياً: موقف ابن عاشور من المعتزلة في تفسير القرآن الكريم:

أ- موافقة ابن عاشور لأقوال المعتزلة في تفسير القرآن الكريم:

وافق الطاهر بن عاشور المعتزلة، في تفسيرهم لبعض الآيات القرآنية، ونقل عنهم، ومن ذلك:

1- ما نقله ابن عاشور من تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾[1]، إذ يقول: "الثاني ما ذكره صاحب الكشاف: أن يخادعون استعارة تمثيلية، تشبيها للهيئة الحاصلة من معاملتهم للمؤمنين ولدين الله، ومن معاملة الله إياهم في الإملاء لهم والإبقاء عليهم، ومعاملة المؤمنين إياهم في إجراء أحكام المسلمين عليهم بهيئة فعل المتخادعين[2]"[3].

2- ومنها، ما نقله الطاهر بن عاشور من تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾[4]، إذ يقول: "قال في الكشاف: يجوز أن يكون هذا التشبيه في المركب والمفرق، بأن صور حال المشرك بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة، وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة، بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة،... ولا يخفى عليك أن في مطاوي هذا التمثيل تشبيهات كثيرة لا يعوزك استخراجها[5]"[6].

---

[1] البقرة: 9.

[2] الكشاف، الزمخشري، 57/1.

[3] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 276/1.

[4] الحج: 31.

[5] ينظر: الكشاف، الزمخشري، 155/3.

[6] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 254/17، بتصرف يسير جدا في النص.

ب- مخالفة ابن عاشور لأقوال المعتزلة في تفسير القرآن الكريم:

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]: "وأخبر عنها خبراً ثابتاً بقوله: إلى ربها ناظرة، وظاهر لفظ ناظرة أنه من نظر بمعنى: عاين ببصره إعلاناً بتشريف تلك الوجوه، أنها تنظر إلى جانب الله تعالى، نظراً خاصاً لا يشاركها فيه من يكون دون رتبهم، فهذا معنى الآية بإجماله ثابت بظاهر القرآن، وقد أيدتها الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ،

فقد روى البخاري ومسلم (ت.261هـ) عن أبي سعيد الخدري (ت.74هـ) وأبي هريرة (ت.57هـ)- رضي الله عنهما- أن ناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟ قلنا: لا، قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما... [2]"[3].

وبعد أن قال: الطاهر بن عاشور من قبل بأن دلالة الآية على أن الرؤية بصرية دلالة قطعية ومؤيدة بالأخبار الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ وساق الأدلة على ثبوت رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة رؤية بصرية؛ أبهم علينا بقوله: "فدلالة الآية على أن المؤمنين يرون بأبصارهم رؤية متعلقة بذات الله على الإجمال دلالة ظنية؛ لاحتمالها تأويلات تأولها المعتزلة[4]، بأن المقصود رؤية جلاله وبهجة قدسه التي لا تخول رؤيتها لغير أهل السعادة"[5]، السعادة"[5]، وقد بين الطاهر بن عاشور أن كيفية الرؤية من المتشابه الراجع إلى علم الله تعالى، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، إذ يقول: "ويحسن أن نفوض كيفيتها إلى علم الله تعالى، كغيرها من المتشابه الراجع إلى شؤون الخالق"[6].

---

(1) القيامة: 22-23.

(2) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت.256هـ)، تحقيق: محمد بن زهير بن ناصر الناصر، ط.1، 1422هـ، دمشق، دار طوق النجاة، باب قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة: 22-23) حديث رقم: 7439، 129/9. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول ﷺ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت.261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط.2، 1978م، بيروت، دار إحياء التراث العربي، كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم: 2968، 2279/4.

(3) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 353/29.

(4) ينظر: تفسير الزمخشري للآية الكريمة، الكشاف، 622/4.

(5) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 353/29.

(6) المصر السابق، 353/29.

وفي المقدمة الخامسة من تفسيره عند حديثه عن صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي، رد الطاهر بن عاشور تفسير المعتزلة للآية الكريمة؛ بحجة أنه تفسير خارج عن ظاهر القرآن، وعن المأثور، وعن المقصود من الآية، إذ يقول: " كذلك تفسير المعتزلة قوله: إلى ربها ناظرة، بمعنى أنها تنتظر نعمة ربها على أن إلى واحد الآلاء، مع ما في ذلك من الخروج عن الظاهر وعن المقصود من الآية [1]".

إن تفسير المعتزلة للآية الكريمة وذلك بنفي رؤية الله تعالى في الآخرة مردود؛ لأنه مخالف لصريح الآيات القرآنية الكريمة وتفسيرها [2]، ومخالف للأحاديث النبوية الشريفة [3] وإجماع الأمة، وللغة العرب [4].

---

[1] المصدر السابق، 31/1.

[2] ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(القيامة: 22-23)، وقوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾(يونس: 26)، وقد فسرت الحسنى بالجنة، والزيادة: بالنظر إلى وجه الله تعا لى: ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت.671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط.2، 1964م، القاهرة، دار الكتب المصرية، 330/8، ومنها قوله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (ق:35)، وقد فسر المزيد في هذه الآية: بأنه النظر إلى الله تعالى، ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت.774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط.2، 1999م، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 48/6، ومنها قوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(البقرة: 223).

[3] ينظر: الأحاديث التي أوردها الطاهر بن عاشور للاستدلال بها على جواز رؤية الله في الآخرة.

[4] قال الأزهري (ت.370هـ): "ومن قال: إن معنى قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة: 22-23)، بمعنى منتظرة، فقد أخطأ؛ لأن العرب لا تقول: نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته، إنما تقول: نظرت فلاناً، أي: انتظرته، فإن قلت: نظرت إليه لم يكن إلا بالعين، وإذا قلت: نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكراً، وتدبراً بالقلب". تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور (ت.370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط.1، 2001م، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 266/14.

ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي (ت.711هـ)، ط.3، 1414هـ، بيروت، دار صادر، 216/5، ثم إن حمل لفظ "إلى" الوارد في هذه الآية، على واحد الآلاء غير جائز؛ لأن الانتظار يتضمن الغم والمشقة، ويؤدي إلى التنغيص والتكدير، والآية قد وردت في شأن أهل الجنة، وذلك لا يجوز عليهم- التنغيص والتكدير؛ ولأنها جاءت مبشرة، والبشارة إذا جلبت الغم والتنغيص فهي غير لائقة بالحكمة، والبشارة التي جاءت بها الآية هي الإنعام والإكرام، وذلك برؤية الله تعالى في الآخرة، وهذا افضل النعم والكرامات، المستتبعة لنضارة الوجه، لا في الانتظار المؤدي إلى عبوسه.

ينظر: كتاب الأربعين في أصول الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت.606هـ)، ط.1، 1968م، حيدر أباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ص.309.

المطلب الثاني: موقف ابن عاشور من الجبرية:

وقف ابن عاشور من أصحاب هذا المذهب موقف المعارض، وخاصة فيما اتصل بأفعال العباد، وإثبات مشيئتهم، فقد أثبت المشيئة للإنسان العاقل فيما يأتي ويدع، وأنه ليس معذوراً إذ قال: هذا أمر مُقَّدرٌ ومكتوب عند الله-تعالى-، وبين أن العبد ليس مجبوراً على فعل الطاعة والمعصية؛ لأن له مشيئة لا محالة، ومن المواضع التي عارض فيها ابن عاشور الجبرية، أنه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾[1]، ذهب في تفسيره لهذه الآية إلى أن العبد مسؤول عن أفعاله، ورفض الأعذار التي يتعذر بها العوام من المسلمين في ارتكابهم للجرائم والمعاصي تفلتاً من المسؤولية، إذ بين الطاهر بن عاشور أن تلك المعاذير جاءت من طريق الجبرية الذين يقولون: بأن الإنسان مجبور على أفعاله، إذ لا حرية له ولا اختيار، وهم بهذا قد خلطوا بين مشيئة الله ومشيئة العباد، وبين أن سبب تلك المعاذير هو الجهل بحكمة الخالق سبحانه وتعالى في وضع نظام هذا الكون، فقد جعل سبحانه وتعالى حجابا بين تصرفه في أحوال المخلوقات، وبين تصرفاتهم في أحوالهم بمقتضى إرادتهم، وقال الطاهر بن عاشور: بأن الحجة في هذه الآية قائمة على الجبرية، فقول المشركين في هذه الآية باطل؛ لأنهم جعلوا مشيئة الله سبباً في شركهم وشرك آبائهم، وسبباً في فعلهم للمعاصي، وهذا كذب، سبقهم إليه الذين من قبلهم، إذ إن مقدصهم في قولهم هذا، هو تكذيب النبي ﷺ[2]. فقد بينت هذه الآية أن ما استدل به هؤلاء المشركين من حجة على شركهم وتحريمهم ما حرموا هي حجة داحضة باطلة؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم، فهم يقولون بأن العبد مجبور على فعله، وأنه لا اختيار له في ذلك، بل هو مُلجأٌ إليه، وهذا غير صحيح "لأن الله يخلق للعبد تمكيناً وقدرة مع الفعل يفعل بها الخير والشر لا على سبيل الاضطرار والإلجاء، وهذا التمكين هو مناط التكليف الذي يترتب عليه العقاب والثواب"[3].

(1) الأنعام: 148.

(2) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 152/8.

(3) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت.745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط.2، 1420هـ، بيروت، دار الفكر، 645/1.

المبحث الثاني: موقف ابن عاشور من الشيعة والخوارج والبهائية:

المطلب الأول: موقف ابن عاشور من الشيعة:

لقد كانت فرقة الشيعة من ضمن الفرق التي تعرض لها الطاهر بن عاشور في تفسيره، إذ كان رحمه الله تعالى موافقا لهم في بعض المسائل، وتمتاز هذه الموافقة بأنها مشروطة، وكان يخالفهم في مسائل أُخرى، ويرد عليهم، ويتجلى موقفه رحمه الله تعالى من الشيعة، من خلال الآتي:

أولاً: موقف ابن عاشور من الشيعة فيما يتعلق بعلوم القرآن الكريم:

خالف الطاهر بن عاشور فرقة الباطنية بشكل عام، والشيعة بشكل خاص، في أن للقرآن ظهر وبطن، ولقد نبه الطاهر بن عاشور على فرقة الباطنية، ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم، إذ بين أنهم صرفوا القرآن عن ظاهره، وبنوا على أن القرآن له باطن ورموز ومعان خفية، وأنهم تكلفوا في تفسير القرآن الكريم، ورد الروايات الواردة في أن للقرآن ظهر وبطن، إذ يقول: "فلا تجاوز هذا المقام مالم ننبهكم إلى حال طائفة التزمت تفسير القرآن الكريم بما يوافق هواها، وصرفوا الفاظ القرآن الكريم عن ظواهرها بما سموه الباطن، وزعموا أن القرآن إنما أُنزل متضمناً لكنايات ورموز عن أغراض، وأصل هؤلاء طائفة من غلاة الشيعة عُرِفوا عند أهل العلم بالباطنية... إلى أن يقول: ولهم في التفسير تكلفات ثقيلة منها، قولهم: وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم، أن جبلاً يقال له الأعراف، هو مقر أهل المعارف الذين يعرفون كلا بسيماهم،... إلى أن قال: وروي عن النبي ﷺ أن للقرآن ظهر وبطن[1]، قلت لم يصح ما رويَّ عن النبي ﷺ"[2].

---

[1] لقد ناقش فضل حسن عباس الروايات الواردة في مسألة، هل للقرآن ظهر وبطن؟ وردها سنداً ومتناً. ينظر: التفسير أساسياته واتجاهاته، فضل حسن عباس، ط.1، 2005م، عمان، مكتبة دنديس، ص.238-245.

[2] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1/33-34.

ثانياً: موقف ابن عاشور من الشيعة فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم:

أ-موافقته للشيعة في مسألة زواج المتعة-موافقة مشروطة-:

اهتمت الشيعة الإمامية بمسألة إباحة زواج المتعة، فهم يعتبرون ذلك من أسس مذهبهم[1]، واستدلوا بمجموعة من الأدلة النقلية، منها قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[2]، أما أهل السنة والجماعة فيرون أن زواج المتعة محرم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة[3].

أما الطاهر بن عاشور فنفى أن تكون هذه الآية نازلة في زواج المتعة، ولكنها صالحة لاندراج المتعة في عموم قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم ﴾، فقد ذهب ابن عاشور إلى جواز مشروعية زواج المتعة بشروط، إذ يقول: "ونحن نرى أن هذه الآية بمعزل عن أن تكون نازلة في نكاح المتعة، وليس سياقها سامحاً بذلك، ولكنها صالحة لاندراج المتعة في عموم ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم ﴾ والذي استخلصناه في حكم نكاح المتعة أنه جائز عند الضرورة الداعية إلى تأجيل مدة العصمة، مثل الغربة في سفر أو غزو إذا لم تكن مع الرجل زوجة، ويشترط فيه ما يشترط في النكاح، من صداق وإشهاد وولي حيث يشترط، وأنها تبين منه عند انتهاء الأجل، وأنها لا ميراث فيها بين الرجل والمرأة، إذا مات أحدهما في مدة الاستمتاع، وأن عدتها حيضة واحدة، وأن الأولاد لاحقون بأبيهم المستمتع"[4].

ونستنتج من ذلك أن الطاهر بن عاشور قد وافق الشيعة في إباحة زواج المتعة، ولكنه قيد هذه الموافقة بالشروط التي ذكرها، ولم يجعلها مطلقة.

ب- مخالفة ابن عاشور للشيعة فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم:

خالف الطاهر بن عاشور الشيعة في تفسير القرآن الكريم في عدة مسائل، وهذه المسائل هي:

---

[1] ينظر: من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر، الصدوق محمد بن علي بن الحسين، ابن بابويه القمي (ت.381هـ)، تحقيق: الحجة السيد الحسن الخرسان، ط.6، 1985م، بيروت، 298/3.

[2] النساء: 24.

[3] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 133/5.

[4] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 11/5، بتصرف يسير جداً في النص.

1- يقول ابن عاشور عند بيانه للمراد من لفظ" أهل البيت" الوارد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ ﴾[1]: "والتعريف في البيت تعريف العهد، وهو بيت النبي ﷺ وبيوت النبي ﷺ كثيرة، فالمراد بالبيت هنا بيت كل واحدة من أزواج النبي ﷺ، وكل بيت من تلك البيوت أهل النبي ﷺ وزوجه صاحبة ذلك، ولذلك جاء بعده قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[2]، وضميرا الخطاب موجهان إلى نساء النبي ﷺ على سنن الضمائر التي تقدمت، وإنما جيء بالضميرين بصيغة جمع المذكر على طريقة التغليب؛ لاعتبار النبي ﷺ في هذا الخطاب؛ ولأنه رب كل بيت من بيوتهن، وفي هذا التغليب إيماء إلى أن هذا التطهير لهن لأجل مقام النبي-عليه الصلاة والسلام- لتكون قريناته مشابهات له في الزكاة والكمال، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[3]، يعني أزواج النبي ﷺ وهو نظير قوله تعالى في قصة ابراهيم- عليه السلام-: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[4]، والمخاطب زوج ابراهيم- عليه السلام-، وهو معها"[5].

وقال في موضع آخر: "وأهل البيت: أزواج النبي ﷺ والخطاب موجه إليهن، وكذلك ما قبله وما بعده لا يخالط أحداً شكٌ في ذلك، ولم يفهم منها أصحاب النبي ﷺ والتابعون إلا أزواج النبي ﷺ هن المراد بذلك، وأن النزول في شأنهن"[6]، وبذلك نرى أن ابن عاشور قد خالف الشيعة في تفسيره للمراد بـ" أهل البيت" في الآية الكريمة السابقة.

---

(1) الأحزاب: 33.

(2) الأحزاب: 34.

(3) النور: 26.

(4) هود: 73.

(5) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 22/14.

(6) المصدر السابق، 22/ 14.

أما الحديث الذي استدلت به الشيعة على أن المراد بـ"أهل البيت" هم علي (ت.40هـ)، وفاطمة (ت.11هـ)، والحسن (ت.49هـ)، والحسين (ت.61هـ)- رضي الله عنهم- [1]، فقد رده ابن عاشور وحكم عليه بالغرابة، إذ يقول: "وأما ما رواه الترمذي (279هـ) عن عطاء بن أبي رباح (ت.115هـ) عن عمر بن أبي سلمة (ت.83هـ)، قال: "لما نزلت على النبي ﷺ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، في بيت أُم سلمة (ت.61هـ)، دعا فاطمة والحسن والحسين فجعلهم في كساء، وعليٌّ خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله، قال: أنت على مكانك، وأنت على خير[2]"[3].

وقد وجه الطاهر بن عاشور رواية الإمام مسلم في حديث الكساء[4]، على أن النبي ﷺ ألحق أهل الكساء بحكم الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[5]، وجعلهم أهل بيته، كما ألحق المدينة بمكة في حكم الحرمية[6]، وجعل(ابن عاشور) المقصود بـ "أهل البيت" أزواج النبي ﷺ وأن فاطمة وابنيها وزوجها مجعولون أهل بيته، بدعائه ﷺ أو بتأويل الآية على محاملها[7].

---

(1) ينظر: كتاب تفسير الصافي، الموسى محسن الفيض الكاشاني، تقديم: حسين الأعلمي، ط.3، 1415هـ، منشورات مكتبة الصدر، 180/3، وَقَصدُ الشيعة من ذلك، هو القول بعصمة الأئمة من بعد علي وفاطمة والحسن والحسين- رضي الله عنهم-.

(2) الجامع الكبير (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت.279هـ)، تحقيق: بشار عواد المعروف، ط.1، 1989م، بيروت- دار الغرب الإسلامي، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ حديث رقم: 3787، 204/5، قال أبو عيسى معقباً على هذا الحديث: هذا حديث غريب من هذا الوجه، من حديث عطاء عن عمر بن أبي سلمة.

(3) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 15/22.

(4) أورد الإمام مسلم بسنده عن عائشة- ﵂-، قالت: خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ (الأحزاب:33) ، ينظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله-ﷺ صحيح مسلم)، مسلم، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ حديث رقم :2424، 1883/4.

(5) الأحزاب: 33.

(6) وقد ورد أن النبي ﷺ قال: "إن ابراهيم حرَّمَ مكة ودعا لها، وحرَّمتُ المدينة كما حرَّمّ إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها، مثل ما دعا ابراهيم-عليه السلام- لمكة". الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، البخاري، باب: بركة صاع النبي ﷺ ومده، حديث رقم: 2129، 67/3.

(7) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 15/22.

2- ما ذكره ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1]، إذ يقول: "وأما الشيعة فإنهم يذكرون التسليم على عليّ وفاطمة وآلهما، وهو مخالف لعمل السلف، فلا ينبغي إتباعهم فيه؛ لأنهم قصدوا به الغض من الخلفاء والصحابة"[2].

3- ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[3]، أن هذه الآية دالةً على أن الرسول ﷺ مأمور بتبليغ كامل ما أنزله الله تعالى إليه، بحيث لا يظن انسان أن الرسول ﷺ أبقى شيئا من الوحي لم يبلغه للناس، فالله - عز وجل- أراد في هذه الآية أن يقطع تخرص الذين يزعمون أن النبي ﷺ قد استبقى شيئاً من الوحي لم يبلغه، وأنه خص بعض الناس بإبلاغ ذلك الوحي الذي لم يبلغه للناس، إذ يقول: "فهي أقطع آية لإبطال قول الرافضة بأن القرآن أكثر مما هو في المصحف الذي جمعه أبو بكر (ت.13ه) ونسخه عثمان (ت.35)، وأن النبي ﷺ اختص بكثير من القرآن علياً (ت.40ه)، وأنه أورثه أبناءه، وأنه يَبْلُغُ وِقْرَ بعير، وأنه اليوم مختزن عند الإمام المعصوم، الذي يلقبه بعض الشيعة بالمهدي المنتظر وبالوصي، وكانت هذه الأوهام ألمت بأنفس بعض المتشيعين إلى علي-ﷺ- في مدة حياته، فدعا بعض الناس إلى سؤاله عن ذلك، فقد روى البخاري أن أبا جُحَيْفَةَ (ت.62ه) سأل علياً: هل عندكم شيءٌ ما ليس في القرآن، وما ليس عند الناس، فقال: لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهما يُعطى رجلٌ في كتاب الله وما في الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفِكاك الأسير، وأن لا يُقتلَ مسلمٌ بكافر[4]"[5].

---

[1] الأحزاب: 56.

[2] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 103/22.

[3] المائدة: 67.

[4] الحديث أخرجه البخاري، ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، البخاري)، البخاري، باب: لا يقتل المسلم بالكافر، حديث رقم: 6915، 12/9.

[5] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 260/6.

المطلب الثاني: موقف ابن عاشور من الخوارج:

تعد فرقة الخوارج من الفرق التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره ورد عليها، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، ذكر أقوال العلماء في ماهية الإيمان، وذكر من بينها قول الخوارج والمعتزلة، فقد قال- رحمه الله-: "القول الرابع: قول الخوارج والمعتزلة إن الإيمان اعتقاد ونطق وعمل، إلا أنهم أرادوا من قولهم حقيقة ظاهرة من تركب الإيمان من مجموعة الثلاثة، بحيث إذا اختل واحد منها بطل الإيمان، ولهم في تقرير بطلانه بنقض الأعمال الواجبة، مذاهب غير منتظمة ولا معضودة بأدلة، سوى التعلق بظواهر بعض الآثار، مع الإهمال لما يعارضها من مثلها... فأما الخوارج فقالوا إن تارك شيء من الأعمال كافر غير مؤمن، وهو خالد في النار، فالأعمال جزء من الإيمان، وأرادوا من الأعمال فعل الواجبات وترك المحرمات ولو صغائر، إذ جميع الذنوب عندهم كبائر، وأما غير ذلك من الأعمال كالمندوبات والمستحبات فلا يوجب تركها خلوداً[2]...

وقالت الإباضية من الخوارج: إن تارك بعض الواجبات كافر، لكن كفره كفر نعمة لا شرك[3]...

وأما المعتزلة فقد وافقوا الخوارج في أن للأعمال حظا من الإيمان، إلا أنهم خالفوهم في مقاديرها، ومذاهب المعتزلة في هذا الموضع غير منضبطة، فقد قال قدماؤهم: وهو المشهور عنهم أن العاصي مخلد في النار، لكنه لا يوصف بالكفر ولا بالإيمان، ووصفوه بالفسق، وجعلوا استحقاق الخلود لارتكاب الكبيرة[4]"[5].

ويرد عليهم -الخوارج والمعتزلة- باعتقاد أهل السنة والجماعة في أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، فالعمل عند أهل السنة والجماعة من الإيمان، فهم يعتقدون أن عمل الجوارح تؤثر في الإيمان زيادةً ونقصاً، أما قولهم (أهل السنة) في مرتكب الكبيرة، أو الذنوب، فحكمه في الدنيا أنه فاسق، تجري عليه أحكام

---

[1] البقرة: 8.

[2] للاطلاع على رأي الخوارج في تعريفهم للإيمان، ينظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر الشهرستاني (ت.548هـ)، تحقيق: أحمد فهمي محمد، ط.1، 1983م، بيروت، دار الكتب العلمية، 48/1.

[3] ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي، مراجعة وتحرير: علي سامي النشار، ط.1، 1420هـ، ص.51.

[4] للاطلاع على رأي المعتزلة في تعريف الإيمان، ومرتكب الكبيرة، ينظر: المصدر السابق، ص.53.

[5] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 268/1.

الفسقة، أما في الآخرة، فهو تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، مع وجوب تحقيق الوعيد المجمل كما أوجبه الله تعالى[1].

المطلب الثالث: موقف ابن عاشور من البهائية:

لقد كفر الطاهر بن عاشور فرقة البهائية وأخرجها من دائرة الإسلام؛ وذلك لأن صاحبها أدعى أنه أوحي إليه بكتاب اسمه "البيان"، وأن القرآن الكريم قد أشار إلى هذا الكتاب، إذ يقول ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾[2]، ولذلك لا يتردد مسلم في تكفير من يثبت نبوءة لأحد بعد محمد ﷺ وفي اخراجه من حظيرة الإسلام، ولا تعرف طائفة من المسلمين أقدمت على ذلك إلا البابية والبهائية، وهما نحلتان مشتقة ثانيتهما من الأولى، وكان ظهور الفرقة الأولى في بلاد فارس، وكان القائم بها رجلاً من أهل شيراز، حيث عرفت نحلته بالبابية، وأدعى لنفسه النبوءة، وزعم أنه أُوحي إليه بكتاب اسمه البيان، وأن القرآن أشار إليه بقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ﴾[3]، ...وأما البهائية فهي شعبة بن البابية تنسب إلى مؤسسها الملقب ببهاء الله، فقام اسم البهائية مقام اسم البابية، فالبهائية هم البابية، ... ومن كان من المسلمين متبعاً للبهائية أو البابية، فهو خارج عن الإسلام مرتد عن دينه، تجري عليه أحكام المرتد، ولا يرث مسلماً، ويرثه جماعة المسلمين"[4]

وقد رد الطاهر بن عاشور على البهائية الذين أدعوا النبوة، بأن الآية الكريمة: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب:40]، "نص صريح في أن محمداً ﷺ خاتم النبيين، وأنه لا نبيء بعده في البشر؛ لأن لفظ النبيين عام، فخاتم النبيين هو خاتمهم في صفة النبوءة، وكذلك أجمع الصحابة- رضوان الله عليهم- بأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، وعرف ذلك، وتواتر بينهم وفي الأجيال من بعدهم، وقد كفر الصحابة- رضوان الله عليهم- مسيلمة والأسود العنسي الذين ادعوا النبوة"[5].

(1) ينظر: الشبكة العنكبوتية، كتاب الإيمان عند السلف ومخالفيهم، علي بن عبد العزيز الشبل، ص. 30-75، تاريخ الدخول: 2018/2/5م.

(2) الأحزاب: 40.

(3) الرحمن: 3-4.

(4) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 22/45-47، بتصرف يسير جداً في النص.

(5) المصدر السابق، 22/45.

الخاتمة:

أولاً: النتائج.

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، فلقد مَنَّ الله عليَّ بإتمام هذه الدراسة -موقف ابن عاشور من المذاهب الاعتقادية من خلال تفسيره التحرير والتنوير، وقد ظهر لي من خلال هذه الدراسة، نتائج مهمة كان من أبرزها، ما يأتي:

1-يعتبر الإمام الطاهر بن عاشور عالماً بارعاً في شتى أنواع العلوم والمعارف، وخير دليل على ذلك تفسيره التحرير والتنوير، الذي يعد موسوعة علمية كبيرة، إذ لا يمكن الاستغناء عنه؛ لكثرة ما جمع فيه مؤلفه من العلوم النافعة.

2-تطرق الطاهر بن عاشور في تفسيره للمذاهب الاعتقادية، كالمعتزلة، والجبرية، والشيعة، والخوارج، والبهائية، وقد تعرض لأبرز القضايا عند كل مذهب من هذه المذاهب، فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم وعلومه.

3-نقل ابن عاشور عن بعض هذه المذاهب كالمعتزلة، وقد كانت هذه النقول تمثل مواطن اتفاق، وتطابق في الآراء بين الطاهر بن عاشور وأصحاب هذه المذاهب.

4-عارض ابن عاشور بعضاً من هذه المذاهب في بعض القضايا، كمعارضته للمعتزلة في مسألة الرؤية، وللشيعة الإمامية في تفسير آية التطهير.

5-كفر ابن عاشور بعضاً من هذه المذاهب كالبهائية، وأخرج أصحابها من دائرة الإسلام.

ثانياً: التوصيات: من خلال التطواف في هذه الدراسة، فإن الباحث يوصي بما يأتي:

1- دعوة العلماء والباحثين إلى دراسة موقف المفسرين من أصحاب المذاهب الاعتقادية من خلال تفاسيرهم.

2- تقرير مادة على الطلبة في الكليات والمعاهد الشرعية، بعنوان المفسرون والمذاهب الاعتقادية.

والحمد لله على كرمه وتوفيقه وامتنانه.

قائمة المصادر والمراجع:

01- ابن بابويه، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي (ت381هـ)، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: الحجة السيد الحسن الخرسان، ط.6، بيروت، د.ن.، 1985م.

02- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط.2، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م.

03- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي (ت711هـ)، لسان العرب، ط.3، بيروت، دار صادر، 1414هـ.

04- أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط.2، بيروت، دار الفكر، 1420هـ.

05- أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط.1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001م.

06- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله-ﷺ-وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد بن زهير بن ناصر الناصر، ط.1، دمشق، دار طوق النجاة، 1422هـ.

07- بن الضحاك، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي (ت279هـ)، الجامع الكبير(سنن الترمذي)، تحقيق: بشار عواد المعروف، ط.1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1989م.

08- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت606هـ)، كتاب الأربعين في أصول الدين، ط.1، حيدر أباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1968م.

09- الرازي، فخر الدين، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مراجعة وتحرير: علي سامي النشار، ط.1، 1420هـ.

10- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، خرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيما، ط.3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ،

11- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت548هـ)، الملل والنحل، تحقيق: أحمد فهمي محمد، ط.1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م.

12- صقر، نبيل أحمد، منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، ط.1، القاهرة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، 2001م.

13- الطباع، إياد خالد، محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، ط.1، دمشق، دار القلم، 2005م.

14- عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، ط.1، عمان، مكتبة دنديس، 2005م.

15- العلي، هيا ثامر مفتاح، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير، ط.1، الدوحة، دار الثقافة، 1994م.

16- الغالي، بلقاسم، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، ط.1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.

17- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط.2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1964م.

18- الكاشاني، الموسى محسن الفيض، كتاب تفسير الصافي، تقديم: حسين الأعلمي، ط.3، منشورات مكتبة الصدر، 1415

19- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -ﷺ-، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط.2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1978م.

20- عباس، براهمي، دراسة الأحاديث المرفوعة في تفسير التحرير والتنوير، مجلة الحديث- معهد دراسات الحديث النبوي-، ماليزيا، ال عدد7، المجلد1، 2014م.

21- عليان، بسام رضوان شحادة، منهج الإمام ابن عاشور في القراءات في تفسيره التحرير والتنوير، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، فلسطين، العدد 2، المجلد 19، 2011م.

22- صابر، أيمن غازي، الاستنباطات عند العلامة محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير جمعا ودراسة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى،2011م، -رسالة ماجستير- إشراف: طه عابدين طه حمد.

23- الشبل، علي بن عبد العزيز، الشبكة العنكبوتية، كتاب الإيمان عند السلف ومخالفيهم، تاريخ الدخول: 2018/2/5م..